

**نقد القراءات المعاصرة للقرآن الكريم على ضوء ضوابط التفسير اللغوي
- قراءة محمد شحرور نموذجًا -**

**"A Critique of the Cotemporary Readings of the Holy Quran
in the Light of Linguistic Interpretation Regulations -
Muhammad Shahrour's Reading as a Model-"**

العبد حذيق¹

ملخص:

هذا البحث بعنوان: "نقد القراءات المعاصرة للقرآن الكريم على ضوء ضوابط التفسير اللغوي - قراءة محمد شحرور نموذجًا -". وهو دراسة في مكان الزل في أعمال المتصدين لهذه القراءات. وقد اتضح أن أغلبهم يشتركون في مزلقين خطيرين كان لهما أثر كبير في انحرافهم، ألا وهما: عدم الأهلية، ومخالفة القواعد العلمية. وقد توصلت فيه إلى نتائج أهمها: أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين؛ ولذلك فإن المتصدي لتفسيره، - فضلا عن التجديد فيه وقراءته قراءة مُعاصرة - محتاج إلى مكنة من علوم اللغة العربية التي بها نزل لفهمه وإفهامه، وهو شرط من شروط المفسر. وأن جُل المتصدين للقراءة المعاصرة للقرآن الكريم، - ومحمد شحرور نموذج عنهم -؛ لا تتوفر فيهم أهلية الخوض في هذه القضية، لعدم التخصص أولاً، ولخالفه القواعد العلمية الضابطة لهذا الأمر ثانياً.

كلمات مفتاحية: النقد؛ القراءات المعاصرة؛ القرآن الكريم؛ التفسير اللغوي

Abstract:

This research entitled "A Critique of the Cotemporary Readings of the Holy Quran in the Light of Linguistic Interpretation

¹ ، (المؤلف المرسل) alaide1980@gmail.com جامعة الوادي/ الجزائر،

Regulations - Muhammad Shahrour's Reading as a Model-" studies the errors in the works of these readings' opponents. The latter share two common traits that have significant impact on their deviation, namely : being unqualified and violating scientific rules. The Holy Quran was revealed in a clear Arabic language ;therefore, the one who addresses its interpretation – in addition to renewing and reciting it in a contemporary way – needs a mastery of the sciences of Arabic in which it was revealed to comprehend it, a perquisite of an exegete. This paper concludes that most of these opponents are unqualified to engage in this issue because of a lack of specialization and violation the scientific rules governing the subject matter.

Keywords: Critique; modern reading; Holy Quran; linguistic interpretation.

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أرسله الله بالسنة ليبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون، أما بعد:

فإنَّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم لهداية الناس أجمعين؛ "فجعله لهم في دُجى الظُّلُم نورًا ساطعًا، وفي سُدَف الشُّبُه شهابًا لامعًا، وفي مضلة المسالك دليلًا هاديًا، وإلى سبل النجاة والحق حاديًا، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:116]"¹.

ولا بد للاهتمام بهدي القرآن العظيم: من فهمه وتدبره أولاً. قال ابن جرير رحمه الله (ت:310هـ): "إني لأعجبُ مِمَّنْ قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذُّ بقراءته؟"².

وقد كان يقوم بهذه المهمة – مهمة تفسير القرآن وبيانه للناس -؛ بعد الصحابة والتابعين؛ الأئمة الفحول، المتأهلون لأداء هذا الواجب حقًا وصدقًا، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ؛ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَاتِّحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ)³. فكان منهم - على سبيل المثال لا الحصر -؛ مجاهد

محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (لبنان: مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م)، ج 1، ص 5.

محمود شاكر، مقدمة تحقيق تفسير الطبري، ج 1، ص 10.

محمد بن الحسين الأجري، الشريعة، (السعودية: دار الوطن، 1420هـ-1999م)، ج 1، ص 269.

(ت:104هـ) والثوري (ت:161هـ) في القرن الثاني، ويحيى بن سلام (ت:200هـ) وعبد الرزاق (ت:211هـ) في القرن الثالث، وابن جرير (ت:310هـ) وابن أبي حاتم (ت:327هـ) في القرن الرابع، والثعلبي (ت:427هـ) والواحدي (ت:468هـ) في القرن الخامس، وهكذا في كل عصرٍ، إلى عصرنا الحاضر الذي فيه ابن باديس (ت:1359هـ=1939م) والشنقيطي (ت:1393هـ=1973م) وابن عاشور (ت:1393هـ=1973م) وأضرابهم، رحمة الله عليهم أجمعين، وهؤلاء جميعاً من أئمة العلم والدين، الذين لهم قدمٌ صدقٌ في مكابدة العلوم الشرعية تعلُّماً وتعليماً، وتشهد لهم الأمة بالأهليّة لتفسير القرآن العظيم، لأنهم حصلوا أدواته واستكملوا عدّته.

ثمّ نشأ بعدهم - في العصر الراهن، مع موجة الحداثة التي اكتسحت العالم الإسلاميّ- خلوفٌ تدّعي أنها تفسر القرآن العظيم تفسيراً معاصراً، وحتى نكون دقيقين في الوصف: نقرأه قراءة معاصرة!! وأصبح لهذه القراءة المعاصرة رواد وأعلامٌ؛ كالجزائري محمد أركون (ت:2010م)¹، والمغربي محمد عابد الجابري (ت:2010م)²، والسوري محمد شحرور³. وطغأ أمر هذه (القراءة المعاصرة) للقرآن الكريم على المشهد العلمي المتعلق بتفسير القرآن العظيم؛ حتى أصبح كأنه مسلّمةٌ لا تحتمل المناقشة فضلاً عن المعارضة. يقول الباحث عباس شريفة واصفاً المشهد: "مع صدمة الحداثة، فإن الحديث عن قراءة معاصرة، يوقع في نفوس كثير من الناس شيئاً من الرهبة أو الهالة التي تلف كثيراً من التخصصات الأكاديمية، مما يرفعها عن البحث والمراجعة فضلاً عن المساءلة والنقد، على أن الأمر لا يعدو كون المنهجية المعلنة ستاراً، يعمي العين الناقدة عن النفاذ إلى ما وراء ذلك الإعلان من منظومات خفية غير معلنة"⁴.

وما هذه الرفعة عن البحث والمراجعة؛ بناشئةٌ من قوة الطرح في هذه (القراءات المعاصرة) للقرآن، ولا من تمكّن أصحابها من الأدوات التي تؤهلهم للكلام في القرآن

فيلسوف مؤرخ، ولد في 1928 بالجزائر، ونشأ منذ صغره في مدرسة الآباء البيض التبشيرية، ثم تلقفه في المرحلة الجامعية المستشرق لويس ماسينيون، فأجرى بحوثه بإرشاد منه. يُنظر التعريف به على ويكيبيديا. فيلسوف ومفكر وصحفي ولد في 1935 بالمغرب، شهادته العلمية كلها في الفلسفة؛ إذ حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة سنة 1967، ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة سنة 1970. يُنظر التعريف به على ويكيبيديا.

سيأتي التعريف به في محله من البحث؛ لأنه هو نموذج الدراسة.

عباس شريفة، نقض منهجية القراءة المعاصرة للنص القرآني عند محمد شحرور، موقع المجلس الإسلامي، <https://sy-sic.com/?p=8014> السوري، تاريخ الدخول: 2022/09/22،

الكريم، - إذ جُلِّهم مفكرون وفلاسفةٌ كما هو معلوم -، ولكن لقوة الآلة الإعلامية التي تروج لهؤلاء، وتُظهرهم لعامة المسلمين مبدعين مجددين.

* ولَمَّا كان تفسيرُ القرآن الكريم من أمر الدين؛ وأمر الدين يُسألُ عنه أهله، لا الفلاسفة والمفكرون، كما هو متقرر عند أهل العلم الراسخين. قال ابن سيرين رحمه الله (ت:110هـ): "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَأَنْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ"¹؛ فقد نشأت الإشكالية التي يدور عليها هذا البحث وهي:

هل المتصدُّون لقراءة القرآن الكريم قراءةً مُعاصرةً - أصلاً - متأهلون للإقدام على هذا الأمر؟ وهل نتاج الذين أقدموا عليه فعلاً، متوافقٌ مع القواعد العلمية التي تضبط هذا الباب؟

* وعلى ذلك - كذلك -؛ تتضح أهداف الدراسة، وأنها تدور على أمرين اثنين: الأول: التحقق من أهلية المتصدرين لقراءة القرآن الكريم قراءة معاصرة والنظر في تكوينهم العلمي الذي خولهم ذلك. والآخر: النظر في مدى توافق هذه القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، مع الضوابط العلمية التي قعدها العلماء للتفسير اللغوي للقرآن الكريم، كونه نزل بلسانٍ عربيٍّ مُبين.

ولَمَّا كانت أنواع التفسير مختلفةً، وشخصيات القراءة المعاصرة القرآن الكريم متعددة؛ فإني اقتصر في هذا البحث على شخصية تمثلهم هي شخصية المهندس محمد شحرور، واكتفيت في محاكمتهم بالاحتكام إلى نوعٍ واحدٍ من التفسير هو التفسير اللغوي، كون أغلب هؤلاء - وشحرور منهم - يدعون تفسير القرآن بلغة العرب.

* ولبلوغ هذه الأهداف؛ بنيت أركان الدراسة على خُطَّةٍ؛ رأيت أنها خادمةٌ للمقصود، موصلةٌ إلى الهدف المنشود، وجعلتها إجمالاً في: مقدمة وثلاثة مقاصد وخاتمة.

فأمَّا المقدمة؛ فقد مهَّدت فيها للموضوع، وطرحت إشكاله، وبينت أهدافه، والخطَّة التي رأيت أنها موصلةٌ إلى هذه الأهداف.

وأمَّا المقصد الأول: مصطلحات العنوان؛ شرح وبيان. فقد عرفت فيه بأهم ثلاث مصطلحات يدور عليها البحث، وهي القراءة المعاصرة، والتفسير اللغوي، وشخصية محمد شحرور.

مسلم، مقدمة الصحيح، باب في أن الإسناد من الدين، ج1، ص14.¹

وأما المقصد الثاني: عدم أهلية المتصدرين للقراءة المعاصرة للقرآن الكريم؛ فقد تم فيه بيان افتيات أصحاب القراءات المعاصرة على مقام تفسير القرآن العظيم من جهتين: من جهة عدم تحصيلهم لشروط المفسر التي نص عليها العلماء، ومن جهة كون تخصصاتهم العلمية بالأساس مخالفة تمام المخالفة لما هم بصدد من الكلام في القرآن الكريم.

وأما المقصد الثالث: مخالفة أصحاب القراءة المعاصرة للقواعد العلمية؛ ففيه محاكمة نماذج من القراءة المعاصرة للقواعد العلمية للتفسير اللغوي، والنظر في مدى مخالفتها للقواعد المقررة أو موافقتها.

وأما الخاتمة؛ ففيها تسجيلٌ للنتائج المجنّبة، على ما هي الأعرافُ المَرعِيّة في خواتيم الأعمال العلمية.

هذا، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

2. المقصد الأول: مصطلحات العنوان؛ شرح وبيان

هذا البحث قائمٌ على ثلاثة أركان هي: القراءة المعاصرة، والتفسير اللغوي، وشخصية محمد شحور. ولذلك فقد بدا لي في هذا المقصد، أن أشرع ببيان المقصود بهذه المصطلحات الثلاث:

1.2 مفهوم القراءة المعاصرة للقرآن الكريم وأهم رؤاها

- القراءة المعاصرة، مُركَّبٌ وصفيٌّ من (قراءة) و(معاصرة).

وتقريب المصطلح على سبيل الإجمال يعني: محاولة تأويل القرآن الكريم بناءً على بعض النظريات الحديثة التي لم تثبت أو ثبت بطلانها، والإعراض عن طريقة الصحابة والتابعين في الاستدلال¹.

أما تسميتها قراءة؛ فلأنّها عبارةٌ عن أفكارٍ ورؤى وتصورات وخواطر وتأمّلات، وليست تفسيرًا بالمعنى العلميّ للتفسير، فأصحابها لا يتعاملون مع القرآن العظيم على أنه نصٌّ مُقدَّسٌ، وأنه كلام الله، وإنما يتعاملون معه كالنص الأدبيّ تحليلًا وتركيبًا واستنتاجات.

¹ يُنظر: زياد العامر (2018)، القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، موقع المسلم، تاريخ الدخول: 2022/09/20 <https://almoslim.net/elmy/285563>

وأما وصفها بالمعاصرة؛ فلاعتبارين اثنين: الأول الزمن؛ وهو كونها في العصر الحاضر،
والآخر آلية القراءة والتأويل؛ وهو التوسُّل بالمنهاج الحديثة لفهم الخطاب وتحليله،
وإطراح المناهج التراثية وإقصائها¹.

- وأما أهم رواد هذه القراءة المعاصرة؛ فبالإمكان الإشارة إلى بعضهم على نسقٍ
تاريخيٍّ مُرتَّبٍ؛ إذ المعروف أن بواورها بدأت في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات، مع
تسرب مناهج النقد الأدبي الغربي، واللسانيات إلى العالم العربي، وكان من أوائل مَنْ
كتب في هذا؛ السُّودانيُّ محمد أبو القاسم حاج حمد (1941م-2004م) في (العملية
الإسلامية الثانية جدلية الغيب والإنسان والطبيعة)، سنة 1979م، حيث اعتمد في
الكتاب على مزيجٍ من المقولات الفلسفية واللسانية، ربّما لأوّل مرّة، وفي الثمانينيات
ظهرت محاولة أركون في «قراءة» التراث الإسلامي، وتأويل النص الديني، ويعتبر أركون
أكثر مَنْ توسَّع في استخدام المناهج الحديثة وخصوصاً اللسانية، وحسن حنفي الذي
حاول أن يؤسِّس لتفسير معاصر اعتماداً على معطيات العصر المنهجية، ثم محمد
شحرور في «الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة» الذي اعتمد فيه على خليط من البنيوية
والتاريخية، ونصر حامد أبو زيد الذي طرح في «مفهوم النص» منهجه القائم على
التأويلية، من خلال نقد تراث علوم القرآن. وغيرهم².

2.2 مفهوم التفسير اللغوي وأهم ضوابطه

سنشيرُ هنا إلى مفهوم مصطلح التفسير اللغوي، ونعِدُّ بعضاً من ضوابطه ممّا له
وُصلةٌ بموضوع البحث (نقد القراءة المعاصرة للقرآن)، وذلك على النحو الآتي:
- التفسير اللغوي كذلك مركب وصفيّ، من (التفسير) و(اللغوي).

ومصطلح (التفسير) معناه: بيان المعنى الذي أرادَهُ اللهُ بكلامه؛ وهذا البيان قد
يكون بآية، وقد يكون بتفسير نبوي، وقد يكون بسنة عامة، وقد يكون بسبب نزول، وقد
يكون باللغة، وقد يكون بذكر قصة الآية، وقد يكون بغيرها من المصادر التي هي من
أنواع البيان عن معنى آي القرآن³.

مصطفى فاتحي (2020)، القراءات المعاصرة للقرآن الكريم المفهوم والمنطلقات، موقع حراء، تاريخ
يُنظر: <https://hiragate.com/22357/> الدخول: 2022/09/20،

يُنظر: عبد الرحمن الحاج، ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وأيديولوجيا الحداثة، موقع الحوار اليوم، تاريخ
الدخول: 2022/09/21 <http://alhiwartoday.net/node/1262>

يُنظر: مساعد الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، (السعودية: دار ابن الجوزي،
1423هـ-2002م)، ص54-55.

ووصفه ب(اللغوي)؛ صفةً مقيدةً - على اصطلاح الأصوليين -، تُقيدُ التفسيرَ بكونه من طريق اللغة، وعلى ذلك ف(التفسير اللغوي): بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب. وفي هذا الضابط تقييدٌ لنوع البيان الذي وَقَعَ لتفسير القرآن، وهو ما كان طريقَ بيانه عن لغة العرب. وهذا النوع من البيان يخرجُ ما عداه من أنواع البيان؛ كالبيان الكائن بأسباب التزول وقصص الآي، أو غيرها مما ليس طريق معرفته اللغة. كما يخرج بهذا القيد ما كان طريقَ بيانه بغير لغة العرب، كمن يُفسرُ بمدلولات لا تُعرف عند العرب؛ كالمصطلحات الحادثة¹.

- وللتفسير اللغوي ضوابطٌ تضبطه وقواعد تحكمه، ومن أهمها:

1- لا بدَّ للمُفسِّر من إحاطةٍ جيدة باللغة العربيَّة

إذ القرآن الكريم نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:195]، ولعلَّ من أعظم النُصوص التي تبين أهميَّة اللغة العربيَّة للمتصدي لتفسير القرآن الكريم؛ ما يؤثّر عن إمامنا مالك رحمه الله (ت:169هـ)، وذلك ما روى البيهقي في (شعب الإيمان)، عنه رحمه الله أنّه قال: «لَا أَوْتَى بِرَجُلٍ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ يُفَسِّرُ ذَلِكَ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا»². وليس ذلك بمستنكرٍ على الإمام رحمه الله؛ فإنَّه مُقتدٍ في ذلك بأئمّة التفسير من التابعين رحمهم الله، ومنهم مَنْ كَانَ يُحَرِّمُ عَلَى الْمُفَسِّرِ الْخَوْضَ فِي كَلَامِ اللَّهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ. قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:104هـ): «لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِلُغَاتِ الْعَرَبِ»³.

وما شدّد هؤلاء السلف الصالحون في هذه القضية؛ إلّا حفظاً لمعاني القرآن الكريم من التّحريف، ونأياً بمبانيه - قبل ذلك - عن التّزييف. قال السّمّرقندي رحمه الله (ت:373هـ): «طلب تفسيره وتأويله واجب، ولكن لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن من ذات نفسه برأيه، ما لم يتعلم ويعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل [...] فإذا لم يعلم الرجل وجوه اللغة وأحوال التنزيل، فتعلم التفسير وتكلف حفظه؛ فلا بأس بذلك، ويكون ذلك

يُنظر: مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1432هـ)، 1 ص38.

2 البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، (السعودية: دار الرشد، 1423هـ-2003م)، ج3، ص543. فصل في ترك التفسير بالظن، أثر رقم 2090.

3 الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ-1957م)، ج1، ص292.

على سبيل الحكاية¹، ومحلُّ الشَّاهد منه، تنصيبه رحمه الله على لزوم معرفة المفسر للغة العربيَّة: سواء كانت معرفة ملكة وتمكَّن، أم معرفة حفظ ونقل.

2- لا تستقلُّ اللُّغة بمعرفة التفسير

مع تسليمنا بأنَّ التَّمكَّن من علوم اللُّغة العربيَّة شرطٌ من شروط المتصدِّي للتفسير - كما سبق تقريره من كلام أهل العلم في المسألة الأولى -: إلَّا أنَّه ينبغي تقريرُ قضيةٍ أخرى هنا، لا تقلُّ أهميَّةً عن القضية الأولى، وهي: أنَّ اللُّغة لا تستقلُّ بفهم القرآن؛ بل لا بد للمفسر من معرفة مصادر أخرى يعتمد عليها في تفسيره غير اللغة. كالسنة النبوية، وأسباب النزول، وقصص الآي، والسياق القرآني، والقرائن التي حفت بالخطاب حال التنزيل، وغيرها من المصادر التي لا يمكن أخذها عن طريق اللغة².

ولذلك تجدُ أهل العلم بالتفسير، المتحقيقين به يُنْهَوْنَ على هذا الأمر. قال القرطبي رحمه الله (ت:671هـ): «فَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ ظَاهِرُ التَّفْسِيرِ وَبَادَرَ إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْمَعَانِي بِمُجَرَّدِ فَهْمِ الْعَرَبِيَّةِ كَثُرَ غَلَطُهُ، وَدَخَلَ فِي زُمرَةٍ مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِالرَّأْيِ، وَالنَّقْلِ وَالسَّمَاعِ؛ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي ظَاهِرِ التَّفْسِيرِ أَوَّلًا لِيَتَقَيَّ بِهِ مَوَاضِعُ الْغَلَطِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَسَّعُ الْفَهْمُ وَالْإِسْتِنْبَاطُ»³. والذي يتَّضح من كلامه رحمه الله، أنَّ الإعتماد على مُجَرَّدِ اللُّغة في تفسير القرآن الكريم؛ مَظَنَّةُ الزَّلَلِ والخطأ.

وما ذلك الزلل؛ إلَّا لإهمال المصادر التفسيرية الأخرى من غير اللغة. يقول ابن تيمية رحمه الله (ت:728هـ) في هذا الصِّدد: «وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ بِمُجَرَّدِ مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ الْمُجَرَّدُ عَنْ سَائِرِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَاهُ؛ فَهَذَا مَثَلُ الْغَلَطِ مِنَ الْغَالِطِينَ، لَا سِيَّمَا كَثِيرٌ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِالْإِحْتِمَالَاتِ اللَّغَوِيَّةِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَكْثَرُ غَلَطًا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ الْمُشْهُورِينَ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ مَعْرِفَةَ مَعْنَاهُ كَمَا يَقْصِدُ ذَلِكَ الْمُفَسِّرُونَ»⁴.

3- ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه:

هذه القاعدة تضبط التفسير اللغوي، وتقيد بقبول السياق له، وأنه لا ينظر في التفسير اللغوي إلى ثبوته في اللغة فحسب بل لا بد مع ذلك من مراعاة السياق القرآني؛

السمرقندي نصر بن محمد، بحر العلوم، (دون بيانات نشر)، ج1، ص12.

ينظر: الطيار، التفسير اللغوي، ص633.

القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (مصر: دار الكتب المصرية، 1384هـ-1964م)، ج1، ص34.

ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، (السعودية: مجمع الملك فهد، 1416هـ-1995م)، ج15، ص94.

لذلك خطأ قول من أهمل جانب السياق القرآني، وأسباب النزول، والقرائن التي حفت بالخطاب حال التنزيل، واعتمد على مجرد اللغة فحسب؛ لأن في ذلك إهمالا لغرض المتكلم به - سبحانه - من كلامه، ولكل كلمة معنى في سياق قد لا يصلح في سياق آخر¹.

4- وهناك ضوابط أخرى عديدة، ولكن أهمها:

- وجوب حمل كلام الله على الأشهر والأفصح من كلام العرب.

- الالتزام بفهم القرآن من خلال معهود العرب في الخطاب.

- وجوب مراعاة السياق.

- لا يُعبأ بالمعنى الإفرادي إذا كان المعنى التركيبي مفهوما.

- لا يجوز العدول عن الظاهر إلا بقرينة².

3.2 تعريف وجيز (محمد شحرور):

- اسمه: المهندس محمد شحرور (1938م-2019م) هو: محمد ديب شحرور.

- ميلاده: ولد في دمشق، سوريا، في 11 أبريل 1938م.

- تعليمه: حصل على شهادة التعليم الابتدائي عام 1949م في دمشق، ثم على

شهادة التعليم الإعدادي عام 1953م، ثم على شهادة التعليم الثانوي سنة 1957م.

سافر إلى الاتحاد السوفييتي ببعثة دراسية؛ لدراسة الهندسة المدنية في موسكو،

سنة 1959م، وحصل دبلوم الهندسة المدنية سنة 1964م.

- وظائفه: شغل العديد من الوظائف ومنها:

أنه عُيّن مُعيداً في كلية الهندسة المدنية في جامعة دمشق من 1965م إلى

1968م .

أُوفد إلى جامعة دبلن في إيرلندا سنة 1968م، للحصول على شهادتي الماجستير

والدكتوراه، فحصل الأولى سنة 1969م، والأخرى سنة 1972م، وكلاهما في الهندسة

المدنية، تخصص: ميكانيك تربة وأساسات.

عُيّن مدرّساً في كلية الهندسة المدنية بجامعة دمشق سنة 1972م، في مادة

ميكانيك التربة، ثم أستاذًا مُساعدًا في المادة ذاتها.

¹ يُنظر: حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، (السعودية: دار القاسم، 1429هـ- 2008م)، ج2، ص19.

² يُنظر: محمد عمر الضرير (2007)، ضوابط التفسير اللغوي، ملتقى أهل التفسير، تاريخ الدخول: 2022/10/13 <https://mtafsir.net/forum/>

افتتح مكتب هندسة استشاريًا؛ لممارسة المهنة بوصفه استشاريًا في حقل ميكانيك التربة والأساسات والهندسة، منذ سنة 1973م.

فملخص حياته العلمية والمهنية، لم يخرج عن الهندسة المدنية.

- توفي بالإمارات العربية المتحدة، في 21 ديسمبر 2019م¹.

3. المقصد الثاني: عدم أهلية المتصدرين للقراءة المعاصرة للقرآن الكريم

الذي يظهر للنّاظر في السير الذاتية لأصحاب القراءة المعاصرة للقرآن الكريم؛ من جهة تكوينهم العلميّ، وتحصيلهم الأكاديمي، يتفاجأ بأمرين اثنين: الأول عدم تحصيلهم للعلوم التي تخولهم للكلام في تفسير كتاب الله ﷻ، فضلاً عن ادعاء التجديد فيه وقراءته قراءة معاصرة. والآخر أنّ تخصصاتهم العلميّة وشهاداتهم الأكاديميّة مخالفة تمامًا لما ينبغي أن يكون عليه المتأهل للكلام في تفسير كتاب الله ﷻ، وهذا إجمالٌ تفصيله في المسألتين الآتيتين:

1.3 غياب شروط المفسر التي نص عليها العلماء عن أصحاب القراءة

المعاصرة

من الأمور المقررة عند علماء التفسير وعلوم القرآن²، أنّه ليس كلّ أحدٍ يُمكنه الإقدام على تفسير القرآن العظيم، وإنّما لا بد للمفسر أن يكون مُحيطاً بمجمل الشروط التي هي:

1 - أن يكون المفسر صحيح الاعتقاد بالله تعالى، فإن صحة العقيدة تقي المفسر من تحريف النصوص، وخيانة الآيات، كما تقيه من الوقوع في الزلل فيها.

2 - التخلي عن الأهواء المذهبية، والتحلي بالحق لوجه الحق دون لِيٍّ أعناق الآيات لمذهب يروج له، أو عقيدة خاصة ينحرف بالقرآن إليها.

3 - ألا يخوض في التفسير الاجتهاديّ حتى يتم له النظر والاطلاع على التفسير بالمأثور على النحو التالي:

أ- أن يطلب التفسير من القرآن نفسه، فإن القرآن يشرح بعضه بعضا في آيات

مختلفة.

يُنظر: إبراهيم حنّانة، منهج محمد شحرور اللغوي في تأويل النص القرآني من خلال كتابه "الكتاب 1 والقرآن"، مذكرة ماستر، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، 2020/2021، ص2-3.

المتقدمين والمتأخرين، منهم: السمرقندي في (بحر العلوم)، والسيوطي في (الإتقان)، ومناع القطان في² نص عليها كثيرٌ من أهل العلم (مباحث في علوم القرآن).

ب- ثم إن لم يجد: طلب التفسير من السنّة فإن النبي ﷺ هو المبين الحقيقي عن الله ﷻ (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) [النحل:44].

ج- ثم إن لم يجد: طلب التفسير في أقوال الصحابة، فهم أقرب الناس جميعاً إلى رؤية الوحي، ومعرفة الوقائع، وأقرب إلى التقوى وسمت النبي ﷺ، وأقرب الأجيال جميعاً إلى الملكة اللغوية التي نزل بها القرآن الكريم.

د- ثم إن لم يجد: اجتهد في تفسير آيات الذكر الحكيم بما حصل من الأدوات الضرورية واللازمة لكل مفسر وهي تحصيل العلوم المعينة على التفسير والبيان وأهمها: العلم باللغة العربية، والعلم بالنحو، والعلم بالاشتقاق، وعلم الأبنية، وعلوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وعلم القراءات، وعلم الكلام، وعلم أصول الفقه، وعلم أصول الدين، وعلم السيرة والقصص، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الحديث، وعلم الموهبة¹.

وإذا حاولنا إسقاط هذه الشروط على شخصيتنا محلّ الدراسة (شخصيّة محمد شحرو): فإن جُلّها لا يتوفر فيه الحد الأدنى منها، والذي يؤهله للكلام في تفسير القرآن العظيم.

ولن نحاكمه إلى الشروط جميعها، بل سنكتفي بالشرط الثالث فقط، والذي يقول: ألا يخوض في التفسير الاجتهاديّ حتى يتم له النظر والإحاطة بالتفسير بالمأثور؛ من تفسير القرآن بالقرآن، فإن لم يكن فيالسنّة، فإن لم يكن فبأقوال الصحابة رضوان الله عنهم. والرجل بعيدٌ كلّ البُعد عن العلم بالتفسير المأثور فضلاً عن الإحاطة به، بل هو يطعن في حجية السنّة النبوية أصلاً، ويجعل منها نصوصاً تاريخيةً لفترة زمنية معينة، فكيف برجلٍ لم يُحط علماً بالتفسير أن يُقدّم عليه فضلاً عن أن يجدد فيه أو يأتي فيه بجديدٍ؟

ولك أن تتصور - تقريباً للقضيّة -، ميكانيكياً يدّعي التجديد في علم الميكانيك، ولكنه يكفرُ بكل قواعد الميكانيك التي أصّلها أهل الخبرة قبله، ويزعم أنه وحده جاء بالصحيح الجديد، كيف سيكون هذا الجديد؟ أليس من المنطقيّ أن أيّ إنسانٍ في أيّ مجالٍ حتّى يُبدع فيه؛ لا بدّ أن يُلمّ بكل ما قيل فيه ويمارسه ويعالجه لمدة طويلة؛ فإذا استحكمت الملكاتُ وتجمّعت الخبراتُ: أهلتها تلك المعارف التراكمية للإبداع في تخصصه

¹ يُنظر: عبد الجواد خلف، المدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، (مصر: دار البيان العربي، دت)، ص73-74.

والتجديد فيه؟ فكيف نقبل من أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن الكريم رفضهم القواعد التي نصَّ عليها العلماء في تفسير القرآن العظيم، ثم هم مع ذلك يدَّعون أنهم مجددون؟

ثمَّ إذا واصلنا مع هذا الشرط، فإنه يقول: إذا استنفذ المفسر طرق التفسير بالمأثور الثلاث (التفسير بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة)، ولم يجد للآية تفسيرًا؛ فإنه هنا يجتهدُ رأيَهُ. ولكنَّ الاجتهاد ليس مُطلقًا عفو الخاطر لكل أحد، بل هو لمن امتلك آله، ومن علوم الآلة التي عدَّها العلماء من شروط المفسر: أن يكون عالماً بأصول التفسير؛ ذلك أن أصول التفسير بمثابة المفتاح لعلم التفسير، فلا بد للمفسر أن يكون عالماً بالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ونحوها¹.

والرجل بعيدٌ كذلك عن هذه الضوابط بُعدًا كبيرًا؛ فلا هو بالعالم بالقراءات، ولا بناسخ القرآن ومنسوخه، ولا بأسباب نزوله، بل إنه لا يحفظ القرآن الكريم، ولا حتى يُحسن تلاوته تلاوةً صحيحةً، وليس ذلك بتجنيٍّ على الرجل ولا غمضٌ له، بل ذلك مشهورٌ موثق في مقاطع مرئية على طرف البنان في كل مكان، وهو أمرٌ شائعٌ ذائعٌ لا يخفى على أحد، فكيف بمن لا يُحسن هذه الأمور التي تُعدُّ مبادئ وأدوات للتفسير والتدبر؛ أن يدَّعي التجديد في التفسير والقراءة المعاصرة للقرآن؟

2.3 التخصص العلمي المخالف للكلام في تفسير القرآن

من الأمور الغريبة التي تجاوزها جمهور المسلمين، مع أعلام المتصدين لقراءة القرآن الكريم قراءةً معاصرةً، عدمُ سؤالهم عن تخصصاتهم، وتكوينهم العلمي الذي أهَّلهم للكلام في تفسير القرآن العظيم، مع أن المسلم العادي يُمارسُ النقد في حياته اليومية في أبسط الأمور؛ فلو أراد أن يقتني الإنسان شيئًا من الخضروات أو الفواكه؛ لسأل عن التاجر الصدوق الأمين، الذي يصدق معه في البيع ولا يغشُّه. ولو عطبت للإنسان سيَّارته؛ لما أخذها عند مَنْ هبَّ ودبَّ ممن ادعى أنه ميكانيكي، بل اجتهد في السؤال عن ميكانيكي حاذقٍ في الصَّناعة، ناصح في المعاملة، ليطمئن إلى أن سيَّارته بين أيديٍّ آمنة. وهكذا في معاملات النكاح والعمل وغيرها.

هذا في أمور الدنيا؛ وهو أمرٌ شائعٌ لا يعترضُ عليه أحدٌ، فكيف بأمور الدين (ومنها تفسير القرآن العظيم)، يتكلَّم فيها مَنْ يُصَدِّره الإعلام لنا على أنه إمامٌ زمانه، ثمَّ

¹ يُنظر: فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1424هـ-2003م)، ص168.

يُصادرون منّا حقَّ السؤال عن تخصصاتهم ومؤهلاتهم التي خوّلتهم الإقدام على الكلام في القرآن الكريم، وقد قال الإمام ابن سيرين رحمه الله (ت:110هـ): "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَأَنْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ"¹.

إذا رجعنا إلى شخصية البحث (محمد شحرور)، وتساءلنا عن مؤهلاته العلمية ومجال تخصصه، وجدنا الآتي:

أنه من جهة الشهادات؛ حائزٌ على: دبلوم في الهندسة المدنية من جامعة موسكو، وحاصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه في الهندسة المدنية، وبالتحديد في تخصص ميكانيك تربة وأساسات.

وأنه من جهة العمل والوظيفة؛ زاول الوظائف الآتية: مُعيد في جامعة دمشق، في كلية الهندسة المدنية، ثم مدرساً لمادة ميكانيك التربة في نفس الكلية، كما فتح مكتباً استشارياً في حقل ميكانيك التربة والأساسات والهندسة.

مع هذه المقدمات، يتّضح للقارئ الكريم أن شخصية محمد شحرور العلمية؛ لا علاقة لها بالقرآن الكريم وعلومه من قريب ولا من بعيد، ولو كتب لنا كتباً في فنه (الهندسة المدنية)؛ لكان ذلك مُستحسنًا، بل ذلك هو المطلوب، إذ كلام المرء في تخصصه غير مُستغربٍ، ولكن أن يأتي رجلٌ تخصصه ميكانيك التربة والأساسات، يفسر القرآن الكريم، بل ويدّعي التجديد فيه (القراءة المعاصرة)؛ فهذا ما لا ينبغي أن يقبله عاقلٌ. وهل ذلك إلا مثل أن يصف لك نَجَّارٌ دواءً لمرضى، أو أن يعالج أسنانك حدّادٌ؟؟ ولعل محمد شحرور، أحس بأن هذا السؤال عن التخصص سيُطرح، فحاول استباقاً أن يُجيب عنه فقال: "في عام 1980 التقيتُ بزميلي وصديقي الدكتور جعفر دك الباب، حيث كنا زملاء في الاتحاد السوفييتي، في الفترة بين 1958 و1964، وكان يدرس اللسانيات، وكنتُ أدرس الهندسة المدنية، وبعد التخرج افترقنا، وكانت لقاءاتنا عابرةً وفي المناسبات، ولكنه في عام 1980 لاحظ من خلال أحاديثي معه أنني مُهتمٌ بأمور اللغة والفلسفة وفهم القرآن، فأطلعني على منطلق أطروحته في الدكتوراه في اللسانيات التي قدّمها في جامعة موسكو عام 1973، وكان موضوعها حول نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية، وموقعها من اللسانيات العامة [...]". وانطلاقاً من هذا المنطلق اللغوي؛ بدأتُ بمراجعة آيات الذكر بشكلي جيدي².

¹ مسلم، مقدمة الصحيح، باب في أن الإنسان من الدين، ج 1، ص 14.

² محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، (سوريا: دار الأهالي، 1990م)، ص 47.

ولك أن تتخيل كيف اتخذ محمد شحرور من إطلاع زميله إياه على شيء من مبادئ اللسانيات، ذريعة للكلام في معاني القرآن الكريم!! رجلٌ متخصص في ميكانيك التربة والأساسات، أطلعه زميلٌ له على شيء من مبادئ اللسانيات، فأعجب بها، وبعدها مباشرة صار لا مفسرًا فقط، بل مجددًا في التفسير؟

وهل هذا إلا كقولي أنا على سبيل المثال: أنا متخصص في اللغة العربية والدراسات القرآنية، ولكن لي زميلًا دكتورًا متمكنًا في الكيمياء، وقد أطلعني على شيء من مبادئ النظريات الكيميائية، وأُعِجْتُ بها؛ فأصبحتُ من الغد من المجددين في علم الكيمياء، المؤلفين فيه الكتب، الملقين فيه المحاضرات؟؟ أليس ذلك مدعاةً للشكِّ والريب في مدى أهليتي في علم الكيمياء حقًا، وهي في الأصل ليست تخصصي؟ فكيف لا نشكُّك في أهلية أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في تسنُّمهم لهذا الأمر؛ وتخصصاتهم بعيدة كلَّ البُعد عن القرآن الكريم وعلومه؟؟ فمنهم المهندس ومنهم اللساني، ومنهم الفيلسوف ...

4. المقصد الثالث: مخالفة المتصدين للقراءة المعاصرة للقواعد العلمية

كما سبق ووضحنا في المقصد الثاني أنَّ المتصدين لقراءة القرآن الكريم ليسوا أهلًا لهذا الأمر من جهتين: أولاً كونهم لم يتلقوا من العلم ما يؤهلهم لاقتحام ميدان الكلام في القرآن العظيم، وثانيًا لكون تخصصاتهم العلمية والأكاديمية من أبعد ما يكون عن القرآن الكريم وعلومه، وهذا في الحقيقة كافٍ في ردِّ قولهم وعدم اعتباره؛ إذ كيف تقبلُ تقرير حدادٍ، عن جُرحٍ نازفٍ في مريضٍ مزمَن؟؟

ولكن سننزل مع هؤلاء - والذي يعنينا منهم في هذا البحث شحرور -، ونُحاكُم عملهم إلى القواعد العلمية التي تضبطُ التفسير اللغوي للقرآن الكريم، كون محمد شحرور يدَّعي أنه يفسر القرآن في ضوء أسرار اللسان العربي ويتقيد به¹.

وسأجتزئ في هذه العجالة بمثالين من قراءته المعاصرة، وبيان ما فيهما من مخالفة قواعد التفسير اللغوي، وهما يُنبئان عمَّا وراءهما.

1.4 تفسيره لكلمة (شهر) من قول الله ﷻ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ

شَهْرٍ﴾ [القدر:3].

¹ يُنظر: محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص196.

المعروف البديهي، أنَّ (الشهر) المدَّة الزمنية المعروفة التي تتكون - عند العرب - من تسعة وعشرين يومًا أو ثلاثين يومًا، كما قال النبي ﷺ: (الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - يَعْنِي: ثَلَاثِينَ - ثُمَّ قَالَ: وَهَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - يَعْنِي تِسْعًا وَعَشْرِينَ - يَقُولُ: مَرَّةً ثَلَاثِينَ، وَمَرَّةً تِسْعًا وَعَشْرِينَ)¹. ومعنى الآية عند أهل التفسير: أنَّ ليلة القدر ليلة فضيلة مباركة، ومن بركتها أن جعل الله العمل الصالح فيها وهي ليلة واحدة؛ خير من العمل في ألف شهر غيرها ليس فيها ليلة القدر. قال ابن جرير رحمه الله (ت:310هـ): "وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عملٌ في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر"².

ولكنَّ محمد شحرور يأبى إلَّا مخالفة المفسرين، والخروج بالجديد، ويرى أن (الشهر) بمعنى الشهرة والإشهار!! يقول: "(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)"، وهنا الشهر لا تعني الشهر الزمني، كأن نقول ألف شهر أي 83 سنة وثلاث، أما إذا فهمناها على أنها من الشهرة والإشهار فيتطابق المعنى مع مفهوم الإنزال والجعل، وهنا كلمة (ألف): إما أن تعني: أن إشهار القرآن خير من ألف إشهارٍ آخر، [...] أو أن نفهم ألف شهر (ألف) تعني تأليف الأشياء بعضها مع بعض، كأن نقول الأليف والألفة والتأليف، فنفهم (ألف شهر) على أنه إذا جُمِعت كل الأوامر الأخرى الصادرة من رب العالمين، وتألفت بعضها مع بعض؛ فإن أمر إشهار القرآن خير منها جميعاً"³.

وإذا أردنا أن نعرض هذه القراءة المعاصرة للكلمة (شهر) على قواعد التفسير اللغوي فإنَّنا نقول:

- لا يُنكر أن أصل كلمة (الشهر) مشتق من الشهرة. قال ابن فارس رحمه الله (ت:395هـ): "(شَهْرٌ) الشَّيْنُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى وَضُوحٍ فِي الْأَمْرِ وَإِضَاءَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الشَّهْرُ، وَهُوَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْهَلَالُ، ثُمَّ سُمِّيَ كُلُّ ثَلَاثِينَ يَوْمًا بِاسْمِ الْهَلَالِ، فَقِيلَ شَهْرٌ"⁴. ولكن هذا الأصل الاشتقائي لا ينأى بنا عن السياق، إذ واضح من سياق الآية أن المقارنة منعقدة على المدة الزمنية بين ليلة واحدة وألف شهر من جهة كونها

1 محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (السعودية: دار طوق النجاة، 1422هـ)، ج7، ص53.

2 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن أي القرآن، (لبنان: مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م)، ج24، ص435.

3 شحرور، الكتاب والقرآن، ص206-207.

4 ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص222.

ظروفاً واعيةً لما يقع فيها من الأعمال. ووجوب مراعاة السياق من قواعد التفسير اللغوي، وذلك ما لم يُراعه شحرور في تفسير الشهر بالإشهار.

قال ابن عاشور رحمه الله (ت: 1393هـ = 1973م): "وَتَفْضِيلُهَا بِالْخَيْرِ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ؛ إِنَّمَا هُوَ بِتَضْعِيفِ فَضْلِ مَا يَحْصُلُ فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَوَفْرَةِ ثَوَابِ الصَّدَقَاتِ وَالْبَرَكَاتِ لِلْأُمَّةِ فِيهَا، لِأَنَّ تَفَاضُلَ الْأَيَّامِ لَا يَكُونُ بِمَقَادِيرِ أَرْمَنِهَا وَلَا بِمَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ أَوْ مَطَرٍ، وَلَا بِطُولِهَا أَوْ بِقَصَرِهَا، فَإِنَّ تِلْكَ الْأَحْوَالَ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَغْبُثُ بِمَا يَحْصُلُ مِنَ الصَّالِحِ لِلنَّاسِ أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ، وَمَا يُعِينُ عَلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَنَشْرِ الدِّينِ، وَقَدْ قَالَ فِي فَضْلِ النَّاسِ: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ) [الحجرات: 13]، فَكَذَلِكَ فَضْلُ الْأَرْزَانِ إِنَّمَا يُقَاسُ بِمَا يَحْصُلُ فِيهَا لِأَنَّهَا ظُرُوفٌ لِلْأَعْمَالِ، وَلَيْسَتْ لَهَا صِفَاتٌ دَاتِيَّةٌ يُمَكِّنُ أَنْ تَتَفَاضَلَ بِهَا كَتَفَاضُلِ النَّاسِ، فَفَضْلُهَا بِمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهَا مِنَ التَّفْضِيلِ كَتَفْضِيلِ ثُلُبِ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ لِلْقُرْبَاتِ"¹.

- كما أن في تفسير شحرور ل(الشهر) بالإشهار هنا، فيه مخالفة قاعدة أخرى من قواعد التفسير اللغوي، وهي: أن اللغة لا تستقل بمعرفة التفسير، أي أن الاعتماد على مجرد اللغة لتفسير القرآن الكريم من موارد النزول فيه، لأن فيه إغفالاً لروافد تفسيرية أخرى، قد لا يتأتى المعنى إلا من قبيلها؛ كأسباب النزول وقصص الآي وغيرها.

وفي هذا الموضوع بالذات؛ تفسير (الشهر) بغير المدة الزمنية، يتنافى مع ما ورد في كتب التفسير من ذكر سبب نزول الآية؛ فقد أورد الواحدي رحمه الله (ت: 468هـ) في (الوسيط): "عن ابن عباس رضي الله عنه: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَمَلَ السِّلَاحَ عَلَى عَاتِقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، فَعَجِبَ لَذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَجَبًا شَدِيدًا، وَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي أُمَّتِهِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، جَعَلْتَ أُمَّتِي أَقْصَرَ الْأُمَمِ أَعْمَارًا، وَأَقْلَهَا أَعْمَالًا. فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَيْلَةَ الْقَدَرِ، فَقَالَ: (لَيْلَةُ الْقَدَرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) التي حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله. لك ولأمتك من بعدك إلى يوم القيامة في كل رمضان"².

2.4 تفسيره لكلمة (النساء) من قول الله ﷻ: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: 14].

¹ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، ج 30، ص 459.
² علي بن أحمد الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (لبنان: دار الكتب العلمية، 1415هـ = 1994م)، ج 4، ص 537.

وهذه كذلك من أغرب التفسيرات التي وقع فيها شحور، وخالف فيها لغة العرب والمعهود من خطابهم، إذ لا يُنازع أحدٌ أن "(النُّسْوَة) بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ وَ (النِّسَاء) وَ (النِّسْوَان) جَمْعُ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهَا. وَتَصْغِيرُ نِسْوَةٍ (نُسَيْئَةٍ) وَيُقَالُ: (نُسَيْيَاتٌ)".¹ قال السمرقندي رحمه الله (ت:373هـ): "(زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ)، بدأ بالنساء، لأن فتنة النساء أشد من فتنة جميع الأشياء.

كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تَرَكْتُ لَأُمِّي فِتْنَةً أَشَدَّ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ»، ولأن النساء فتنتهن ظاهرة من وقت آدم ﷺ إلى يومنا هذا.

ويقال: في النساء فتنان، وفي الأولاد فتنة واحدة: إحداهما أنها تؤدي إلى قطيعة الرحم، لأن المرأة تأمر زوجها بقطيعة الرحم عن الأمهات والأخوات. والثانية يُبتلى بجمع المال من الحلال والحرام، وأما البنون، فإن الفتنة فيهم واحدة، وهي ما ابتلي به من جمع المال لأجلهم".²

ومع أن كلمة (النساء) من الوضوح بمكان؛ حتى أن كثيراً من المفسرين لم يعرج عليها أصلاً، لأن توضيح الواضحات من المعضلات، إلا أن محمد شحور أبي إلا أن يُفسرها تفسيراً جديداً لم يسمع به أحد قبله من العرب أو العجم!! فقال: النساء هنا بمعنى: الموضة!! وهذه النتيجة بناها على المقدمات الآتية: "النساء: جاءت في اللسان العربي من (نساء)، والنسيء هو التأخير كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ)، وَنَسِيءٌ وَنَسُوٌّ جمعها نسوة ونساء (معجم متن اللغة، أحمد رضا)، وكقول النبي ﷺ - إن صح -: (من أحب أن يُيسر له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه)، [...] ومن هنا جاءت كلمة (النساء) على أنها المتأخرات، ويُمكن إطلاق هذا المصطلح على كل شيء جاء متأخراً، وهنا يظهر معنى (النساء) في آية (الشهوات)، والتي تُعتبر الشهوة رقم واحد، والتي يشتهيها كل الناس، وهي المتأخرات من المتاع (الأشياء)، أي ما نُسيئ منها، أو ما نقول عنه في المصطلح الحديث (الموضة)، فالإنسان يشتهي آخر موضة في اللباس وفي السيارات وفي الأثاث والستائر وفي البيوت".³

وهذا التفسير، إذا حاكمناه إلى قواعد التفسير اللغوي؛ وجدنا المخالفات الآتية:

محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (لبنان: المكتبة العصرية، 1420هـ-1999م)، ص310.

السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص198.

محمد شحور، الكتاب والقرآن، ص642-643.

- أن فيه تلبيساً على القراء؛ إذ زعم أن "نسيء ونسوء جمعها نسوة ونساء (معجم متن اللغة، أحمد رضا)، والموجود في (معجم متن اللغة): "والنساء والنساء من النساء: التي تأخر حيضها ورجي حملها؛ أو التي في بدء حملها"¹. كما قال قديماً ابن فارس رحمه الله (ت:395هـ) في (المقاييس): "وَنُسَيْتِ الْمَرْأَةُ: تَأَخَّرَ حَيْضُهَا عَنْ وَقْتِهِ فَرَجِيَ أَنَّهَا حُبْلَى"². فالذي في معاجم اللغة هو ما تعرفه العرب أن (النساء) جمع المرأة، وإنما تُسمى نُسُوءاً مِنَ النساء؛ مَنْ تأخر حيضها خاصة. وفي تفسير (النساء) ب(الموضوعة) مخالفة لقاعدة: الالتزام بفهم القرآن من خلال معهود العرب في الخطاب.

- أن في تفسير (النساء) ب(الموضوعة) مخالفة لقاعدة: وجوب مراعاة السياق؛ إذ اقتران النساء بالبنين، من أهل الإنسان وذوي خاصته، واقتران الأموال السائلة من الذهب والفضة، واقتران الأموال العينية من الأنعام والحرث؛ ظاهر المناسبة والتوافق مع السياق، من حيث تحبيب هذه الشهوات للإنسان. فإذا فسّرنا (النساء) هنا ب(الموضوعة)!! على رأي شحرور؛ فأئني مناسبة في اقترانها بالبنين في قولنا (زُين للناس حبُّ الموضوعة والبنين)؟؟

- كما أن فيها مخالفة لقاعدة: لا يجوزُ العدول عن الظاهر إلا لقرينة، والظاهر من لفظ (النساء) - كما سبق نقله عن الرازي رحمه الله -، أنها جمع المرأة من غير لفظها، وهذا الذي تعرفه العرب من كلامها، فما الذي يحملنا إلى مخالفة هذا الظاهر بغير قرينة بيّنة؟؟

والنتيجة التي يخرجُ بها الناظر في هذه (القراءة المعاصرة) للقرآن؛ هي أن "لكل علم أدواته ومعارفه، ومن أفتى في علم قبل أن تستحصد عنده أدواته وتستحكم معارفه؛ فقد غشَّ جاهلاً وأضحك عالماً. ولقد نظرنا في (القراءة المعاصرة)، فإذا هي - على ضعف صلتها باللغة، ووُهي علاقتها بها - تزعم أنها باللغة تُحلُّ ما حرّم الله، وتُحرّم ما أحلّه، وباللغة كذلك تحظر ما أباح وتُبَيِّح ما حظر. ومع أن (فاقد الشيء لا يُعطيه)؛ فإنها راحت - بغير حسابٍ - تُعطي ما هي فاقدته"³.

¹ أحمد رضا، معجم متن اللغة، (لبنان: دار مكتبة الحياة، 1380-1960م)، ج5، ص445.

² أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، (لبنان: دار الفكر، 1399-1979م)، ج5، ص422.

³ يوسف الصيداوي، بيضة الديك؛ نقد لغوي لكتاب (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة)، (سوريا: المطبعة التعاونية، دت)، ص117.

5. خاتمة:

لا ريب أنَّ المُطَوَّف على مسألتين عظيمتين من مسائل العلم في العصر الحاضر، وهما مسألتا: القراءة المعاصرة للقرآن الكريم، والتفسير اللغوي للقرآن الكريم - سيخرجُ بملاحظاتٍ جمّةٍ ونتائجٍ مهمّةٍ، ولعل منها:

1- القراءة المعاصرة للقرآن الكريم مصطلحٌ يعني: محاولة تأويل القرآن الكريم على وفق النظريات الغربية الحديثة، ونبذ طريقة الصحابة والتابعين في الاستدلال.

ولها رواد: جُلُّهم من المتأثرين بالمناهج الغربية، كأركون والجابري وحنفي وشحرور.

2- التفسير اللغوي للقرآن الكريم مصطلحٌ يعني: بيان معاني القرآن بلغة العرب.

وله قواعد وضوابطٌ منها: أنه لا يُكتفى بمجرد اللغة لمعرفة التفسير، وأنه لا بد من مراعاة السياق، ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا لقرينة.

3- المسلم يُمارسُ النقد في حياته اليومية، ويسأل عن أهلية كل من يُريد أن يعامله معاملةً دنيوية؛ فحريٌّ به أن يُمارس هذا النقد فيمن يسألهم عن دينه، ولا يثق في كل من يُصدره الإعلام على أنه مفسر أو عالمٌ في الدين.

4- أثبت البحث أن رواد القراءة المعاصرة للقرآن غيرُ مؤهلين للتصدر للكلام في القرآن العظيم من جانبين: الأول أنهم لم يحصلوا العلوم التي اشتراطها العلماء في المفسر. والآخر أن تخصصاتهم الأكاديمية والمهنية بعيدة كل البعد عن القرآن الكريم وعلومه؛ إذ جُلُّهم فيلسوف أو صحفي أو مهندس!!

5- شخصية محمد شحرور من أهم رواد القراءة المعاصرة للقرآن، لما لقيته من نفخ إعلامي من جهات معينة، خاصة قبل وفاته بسنواتٍ قليلة، وهو من أبرز الشخصيات التي تُبرز - من خلال حياته العلمية والعملية - الانتقادات الموجهة لرواد القراءة المعاصرة، وهي في مجملها اثنان: عدم الأهلية، ومخالفة القواعد العلمية.

هذا وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

6. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

1. ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، (السعودية: مجمع الملك فهد، 1416هـ-1995م).
2. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، (لبنان: دار الفكر، 1399هـ-1979م).
3. أحمد رضا، معجم متن اللغة، (لبنان: دار مكتبة الحياة، 1380هـ-1960م).
4. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، (السعودية: دار الرشد، 1423هـ-2003م).
5. حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، (السعودية: دار القاسم، 1429هـ-2008م).
6. حنانة إبراهيم، منهج محمد شحرور اللغوي في تأويل النص القرآني من خلال كتابه "الكتاب والقرآن"، مذكرة ماستر، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، 2021/2020.
7. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ-1957م).
8. السمرقندي نصر بن محمد، بحر العلوم، (دون بيانات نشر).
9. عبد الجواد خلف، المدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، (مصر: دار البيان العربي، دت).

10. علي بن أحمد الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (لبنان: دار الكتب العلمية، 1415هـ-1994م).
11. فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1424هـ-2003م).
12. القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (مصر: دار الكتب المصرية، 1384هـ-1964م).
13. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م).
14. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (لبنان: المكتبة العصرية، 1420هـ-1999م).
15. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (السعودية: دار طوق النجاة، 1422هـ).
16. محمد بن الحسين الآجري، الشريعة، (السعودية: دار الوطن، 1420هـ-1999م).
17. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن أي القرآن، (لبنان: مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م).
18. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن، (لبنان: مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م).
19. محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءةً معاصرة، (سوريا: دار الأهالي، 1990م).
20. مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1432هـ).
21. مساعد الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1423هـ-2002م).
22. مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، (بيروت: دار إحياء التراث، دت).
23. يوسف الصيداوي، بيضة الديك؛ نقد لغوي لكتاب (الكتاب والقرآن قراءةً معاصرة)، (سوريا: المطبعة التعاونية، دت).

• مواقع الانترنت:

- زياد العامر (2018)، القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، موقع المسلم، تاريخ الدخول: <https://almoslim.net/elmy/285563/>، 2022/09/20

- عباس شريفة (2018)، نقض منهجية القراءة المعاصرة للنص القرآني عند محمد شحرور، موقع المجلس الإسلامي السوري، تاريخ الدخول: <https://sy.sic.com/?p=8014>، 2022/09/22

- عبد الرحمن الحاج، ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن وأيديولوجيا الحداثة، موقع الحوار اليوم، تاريخ الدخول: <http://alhiwartoday.net/node/1262/>، 2022/09/21

- محمد عمر الضير (2007)، ضوابط التفسير اللغوي، ملتقى أهل التفسير، تاريخ الدخول: <https://mtafsir.net/forum/>، 2022/10/13

- مصطفى فاتيحي (2020)، القراءات المعاصرة للقرآن الكريم المفهوم والمنطلقات، موقع حراء، تاريخ الدخول: <https://hiragate.com/22357/>، 2022/09/20